ولادة الاستشراق والآراء في تاريخ نشوئه

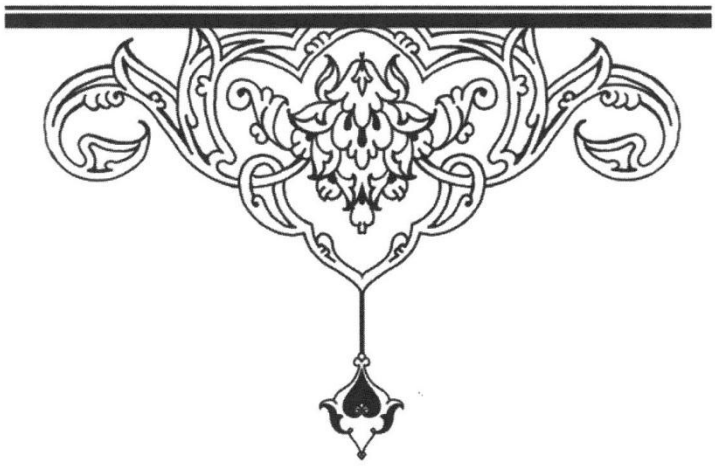

الباحث
بشار راشد سامر
جامعة الكوفة - كلية الفقه

الأستاذ المساعد الدكتور
مهند مصطفى جمال الدين
جامعة الكوفة - كلية الفقه

ولادة الاستشراق والآراء في تاريخ نشوئه

الباحث
بشار راشد سامر
جامعة الكوفة – كلية الفقه

الأستاذ المساعد الدكتور
مهند مصطفى جمال الدين
جامعة الكوفة – كلية الفقه

ملخص البحث

الاستشراق كظاهرة مرت بمراحل متعددة، منها مراحل النشوء والنضوح والطرح بالساحة المعرفية كقسم من أقسام العلوم، وظهور هذا التوجه الفكري لم يخلُ من جدلية واسعة وكبيرة؛ وذلك تبعاً للمسارات التي أُريد لهذا العلم اليافع أن يسلكها من قبل قوى ضاغطة – سواء كانت كنسية تبشيرية أو استعمارية–، ولذا جاء هذا البحث لبيان الظروف التي أدت الى نشوئه والاقوال في أريخ نشوئه، والمراحل التي مرَّ بها، والتعرض الى سلبياته سواء عل العلم نفسه أو على الآخرين المستهدفين من قبل هذا العلم، حيث تمَّ تسخيره لغايات بعيدة عن الحقل المعرفي والعلمي.

كلمات مفتاحية (الاستشراق ، المستشرقون ، الاستعمار ، الدوافع ، النشوء).

The birth of orientalism and opinions in the history of its emergence

Research Summary

Orientalism as a phenomenon has gone through multiple stages, including the stages of development and maturity and the introduction of the epistemological arena as a section of science. This is according to the paths that this young science was intended to follow by pressure forces - whether it was a missionary or colonial church - and therefore this research came to explain the circumstances that led to its emergence and the sayings in the history of its emergence, and the stages it passed

through, and the exposure to its negatives, whether on the science itself Or on others targeted by this science, as it has been harnessed for purposes far from the cognitive and scientific field.

Key words: 1-Orientalism 2-Orientalists 3-colonialism, 4-motives 5-evolution.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق أجمعين محمد آل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد ... فقد حظيت الابحاث الاستشراقية بمزيدٍ من اهتمام الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين في النصف الثاني من القرن العشرين، وأوكل جانب كبير من هذه العناية على مناقشة تلك الدراسات والرد عليها، ودحض فحاواها ذات الابعاد التشكيكية في معطيات الاسلام وتعاليمه الرفيعة.

والسمة البارزة في معظم هذه الدراسات تهدف الى هدم وتدمير الثقة بالمسلمات والأسس التي يؤمن بها المسلمون والتشكيك في حقيقة التشريع الاسلامي وأصالته، والذي ينظر على النتاج الإستشراقي يرى كثرة الشبهات والإقداح والادعاءات التي ينقلها المستشرقون في كل مناسبة وحين، مستخدمين في اثناء ذلك اساليب النفي والاسقاط والمغالاة في الشك في الدلائل القطعية وتضعيفها. ولما كانت كتابات المستشرقين تملأ الساحة الفكرية والاكاديمية اليوم وهي تشكل لشريحة عريضة من مثقفينا وطلابنا المرجع الرئيس والمنهج الاساس، دعت الحاجة للقيام بدراسات نقدية تحاصر وتضبط البنيان المتهافت الذي تقوم عليه دعاوى المستشرقين وشبهاتها ثم تفنيدها وبيان عوارها. ولا يمكن نقد فكرٍ ما، مالم يتم بيان تأريخ هذا العلم وايضاح مفهومه، وبيان الغايات التي يحملها، والاهداف التي يبتغيها، لذا جاء هذا البحث لبيان النشأة و الاهداف والغايات للاسشتراق.

المطلب الاول : ولادة الاستشراق وتاريخ نشوئه.

يجدر بنا أن نتعرف على بداية الاستشراق التاريخية ومعناه، والأهداف والدوافع والتطلعات التي نشأ من أجلها. وسندرك من خلال الابحاث القادمة أن الاستشراق بدأ بجهود فردية وحركات عفوية تختلف اهدافها باختلاف دوافع المستشرق، ثم انتظمت بعد ذلك عبر مرحلة تاريخية ضمن مؤسسات وجدت في المستشرقين ضالتها للوصول الى الاهداف التي تبتغيها[١].

وسنتطرق اولا الى المسار التاريخي لنشوء الاستشراق، ثم نعرج الى مفهوم الاستشراق؛ وذلك لمدخلية المسار التاريخي في بيان الاستشراق ومعرفته.

فبدايات ولادة الاستشراق وظهوره من الامور التي لم تتفق كلمة الباحثين عليها، ويذهب الباحث جواد علي الى أن بداية الاستشراق في العصر الاموي، وذلك بعدما تغلغل بعض رجال الدين المسيحيين الى جسد الدولة الاسلامية لبحث الاسلام ومناقشة عقائده، ومنهم يوحنا الدمشقي أو منصور بن سرجيوس المعروف بـ (ينبوع الذهب) فقد عاصر الخلفاء الامويين، وكانت له مكانة كبيرة، كما كان لأبيه ذلك، وكان مستشاراً ومن المقربين ليزيد بن معاوية[٢]، فقد درس يوحنا الدمشقي الاسلام وألف كتابا بعنوان (حوار بين عربي مسلم وبين مسيحي)[٣] وذلك لإعطاء المعرفة والدراية للمسيحيين، وتصوير جدال المسلمين.

ويذكر الباحث علي جواد مقطعاً من هذا الكتاب وكيفية الرد على المسلمين فيقول : (إذا سألك العربي ما تقول في المسيح؟ فقل له إنه كلمة الله، ثم ليسأل النصراني المسلم: بم سمى المسيح في القرآن؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ}[٤]، فإذا أجاب بذلك فاسأله: هل كلمة الله وروحه مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح، فإن قلت ذلك فسيفحم العربي، لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين)[٥].

فعلى هذا الرأي يكون بداية الاستشراق في اواخر القرن السابع الميلادي .

وهذا الرأي لاقى اعتراضاً من بعض الباحثين؛ وذلك لأنه (ليس نقد الشرق جزءاً من هويّة المستشرق، بل دراسة الشرق هي مقوّم الهوية، ومجرّد أن عدداً كبيراً من

المستشرقين كان ناقداً للشرق وتاريخه وحضارته لا يجعل النقد عنصراً مقوّماً للعمل الإستشراقي؛ فهناك العديد من المستشرقين لم يكونوا ناقدين، بل بعضهم كان معجباً بالشرق ومدافعاً عن قضاياه)[٦].

وعليه فالذي (يبدو أنّ هذا الرأي غير دقيق؛ لأنَّه تصوّر أنَّ نقد الإسلام من جهةٍ، ومسيحيَّة الباحث من جهةٍ أُخرى، عناوين مقوّمة للاستشراق، مع أنَّنا قلنا بأنّ النقد ليس العنصر المقوّم للاستشراق، والمسيحيَّة ليست ظاهرة محض غربيَّة حتّى نحسب كلّ مساهمة مسيحيَّة في دراسة الإسلام استشراقاً)[٧].

أما الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (الاستشراق والمستشرقون) فهو لا يجزم ببداية منضبطة لبدء الاستشراق، ولكن هنالك زماناً محدداً يعتبره القدر المتيقن في وجود الاستشراق وذلك في الاندلس إبان عظمتها ومجدها، فبعض الرهبان الغربيين قصدوا الاندلس وتثقفوا في المدارس الاسلامية، وترجموا القران ودرسوا على ايدي الاساتذة العرب المسلمين ليس في خصوص الدين الاسلامي، بل في مختلف العلوم ومنها الطب والفلسفة والرياضيات[٨].

(ومن اوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي "جربرت" Jerbert الذي انتخب باباً لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الاندلس وعودته الى بلاده، و "بطرس المحترم[٩]" ١٠٩٢ – ١١٥٦ Pierrele Aenere، و "جيراردي كريمون" ١١١٤ – ١١٨٧ Gerard de Gremone، وبعد ان عاد هؤلاء الرهبان الى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات اشهر علمائهم)[١٠].

أما الدكتور محمد السيد الجليند فيقول : (إن بداية هذه الحركة نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي و أوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وان الراهب الفرنسي [جرير دي أولياك ٩٣٨ – ١٠٠٣] كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق، حيث رحل من فرنسا الى اسبانيا مهد الحضارة الاسلامية في وقته، فتعلم فيها اللغة العربية، و وقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية حتى قيل إنه كان اوسع علماء عصره معرفة بعلوم العرب، وخاصة الرياضيات والفلك، ثم ارتحل الى روما حيث اشتهر من بين

أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلومها وانتخب حبرا اعظم بإسم سلفستر الثاني ٩٩٩-١٠٠٣م، وكان بذلك اول بابا فرنسي، واستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشئ مدرستين؛ لتدريس اللغة العربية وعلومها، وكانت الاولى في روما مقر البابوية، والثانية في وطنه الاصلي [دايمس]، ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة تسمى مدرسة شارتر)[١١].

بينما الدكتور إدوارد سعيد فيذكر أن (في الغرب المسيحي يؤرخ لبدء الاستشراق الرسمي بصدور مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م بتأسيس عدد كراسي الاستاذية في: العربية، واليونانية، والعبرية[١٢]، والسريانية في جامعات باريس، واكسفورد، وبولونيا، وأفينون، وسلامانكا)[١٣].

ولذلك يعد عام ١٣١٢م نقطة انطلاق مهمة في عالم الاستشراق حيث أقرت الكنيسة العالمية في فينا تعليم اللغات الشرقية في الجامعات الأوربية التي تقدم ذكرها[١٤].

ولعله من الأمور التي ساعدت في ظهور الاستشراق – بل الاساس في ظهوره – هو الصراع الاسلامي المسيحي، فإن الفتوحات التي قام بها المسلمون وفتحوا على اثرها الاندلس وبلاد الشام والحروب التي خاضها المسلمون ضد البيزنطيين و وصلوا الى حوض باريس، تُمثّل دافعاً قوياً للغربيين في مواجهة المسلمين.ولما استعاد الاوربيون ثقتهم بأنفسهم وزال الحاجز النفسي، وذلك بعد أن هزموا المسلمين في المعركة التي وقعت بينهم، والتي سميت بمعركة "بلاط الشهداء[١٥]"، أخذوا يعيدون ترتيب صفوفهم وباندفاع عقائدي ديني صليبي، وعلى أثرها خاضوا معارك عنيفة ضد المسلمين، واحتلوا على اثر تلك المعارك بيت المقدس، وتوجهوا بعدها الى دراسة العلوم العربية والاسلامية، وقد يكون الدافع لبعضهم طلب العلم، بينما كان البعض منهم يدرسها لكي يواجه الاسلام[١٦].

ويمكن القول ان بدايات الاستشراق كانت بدايات فردية عفوية وغير رسمية، وهذه البدايات المتقدمة قد بدأت مع الحدث الابرز في الشرق، وذلك ببزوغ شمس الاسلام في نهايات القرن الاول للهجرة، وذلك حينما استشعر الغربيون بخطر الاسلام وأنه يمثل تهديداً لحضارتهم ومعتقداتهم، لاسيما بعد توسع الدولة الاسلامية أنذاك، حيث توجه بعض رجال الدين المسيحي لمعرفة الدين الاسلامي ومعتقداته واركانه من أجل

الرد عليه وتحصين المسيحيين من التأثر بالفكر الاسلامي، ولعل ما قام به يوحنا الدمشقي أو منصور بن سرجيوس المعروف (ينبوع الذهب) – الذي عاصر الخلفاء الامويين وكانت له تلك المكانة التي مكنته من معرفة ودراسة الدين الاسلامي و تأليف الكتب في الرد على الاسلام – يُعد أولى لبنات البناء الإستشراقي، ويمكن ان تكون البدايات الرسمية للاستشراق بعد صدور مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م الذي تأسس فيه عدد من كراسي الاستاذية في : العربية، واليونانية، والعبرية، والسريانية في جامعات باريس، واكسفورد، وبولونيا، وأفينون، وسلامانكا[١٧]، إذ تمت في هذه المرحلة بلورة ذلك التوجه وحددت مساراته المستهدفة من قبل هذا العلم، والذي بدأ بالنضوج والتطور لاسيما في القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

المطلب الثاني : المراحل التي مرَّ بها الاستشراق

يمكن لنا تقسيم مراحل الاستشراق الى مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : هي مرحلة ازدهار الحضارة الاسلامية في الاندلس وسطوع نجمها فيها، ففي تلك المرحلة كان الاوربيون في حالة ضعف، وقد اتخذوا موقفاً دفاعياً في تصديهم للإسلام، لذا اتسمت كتاباتهم بمعرفة الدين الاسلامي والوقوف على أهم اركانه ومقوماته من أجل التصدي له، فاوربا في هذه المرحلة قد أفادت من الحضارة الاسلامية في الاندلس، بل أفادت كذلك من المدارس المنتشرة في المغرب العربي و بلاد الشام و مصر[١٨].

المرحلة الثانية : كان الغرب في هذه المرحلة يستهدف دراسة الدين الاسلامي لمعرفته تأريخياً وعقائدياً وأحكاماً شرعية[١٩].

المرحلة الثالثة : وقد برزت في هذه المرحلة الاستشراق العلمي، والذي عني بدراسة شاملة للشرق من ناحية الاديان الموجودة الشرق[٢٠]. فمن أولى الخطوات التي قام بها الاستشراق، هي تعلم اللغة العربية وتعليمها وكان ذلك في وقت متقدم، ففي القرن الرابع عشر الميلادي أنشأت فرنسا مدارس خاصة لتعليم اللغة العربية، مثل ريمس وشارتر[٢١]. وفي القرن السادس عشر والسابع عشر شهد الاستشراق تطوراً وازدهاراً

واضحين، حيث أنشئت أول مطبعة عربية في أوربا وقد أنشأها الكاردينال "فرناندو دي مدتشي"، وبرزت مناحٍ علمية ودراسية تخصصية متعددة ومتنوعة، ومن أبرزها مجموعة كبيرة ومهمة من المخطوطات[٢٢]. وتوالت بعد ذلك الدراسات الاستشراقية للمعارف والدراسات الاسلامية في القرن السابع عشر؛ وذلك عن طريق الاشراف على نشر الكتب الاسلامية ومحاولة تصحيحها[٢٣].

(وقد مثلت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ منعرجا هاماً في تطور الاستشراق، وكان من نتائجها الاتصال المباشر بالشرق، والتعرف على أحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما شرعَ الغربيون في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت نقطة انطلاق كبرى للاستشراق، حيث تجمَّعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمَت إسهاماً فعَّالا في البحث والاستكشاف، ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت الدراسات الاستشراقية بأسلوب أشمل وأكثر تنظيماً، مصحوبة بروح دينية صليبية واستعمارية غربية حاقدة)[٢٤].

ولا يخفى ان بزوغ ظاهرة الاستشراق فيها جوانب ايجابية وجوانب سلبية، وكيفية تعامل وتعاطي العرب والمسلمين مع هذه الظاهرة كانت متباينة، فذكر الدكتور عبد الاله بلقزيز بانه (تعرَّف النهضويون والإصلاحيون العرب على الاستشراق في لحظة اندفاعته الكبرى، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتفاعلوا معه أشكالاً مختلفةً من التفاعل؛ وتأثروا به واستلهموا مناهجه وطرائقَه في الدرس، واسئلته وإشكالياته؛ وناظروه مدافعةً عن تراثهم انطلاقاً من مسلماته، أو انتقدوه ووقفوا من كثيرٍ من اطروحاته موقف الاعتراض الصريح. وأيّاً تكن ظروفُ ذلك التفاعل، وكيفياتُه، ومستوياتُه العلمية، فإنَّ الذي لا مِرْية فيه أن الاستشراق مثَّل لهم تحدّياً فكرياً امتحن قدرةَ ثقافتهم على جَبْه اسئلته، بمثل ما كان الاستعمار – او التهديدُ به – تحدِّياً سياسياً امتحن مجتمعاتهم وقدرتَها على ردِّه)[٢٥].

فكانت كل الافكار الواردة التي يطرحها صاحب الفكر المختلف والمغاير عن الفكر الاسلامي، والذي بدوره يشكك في كثير من المسلمات الاسلامية والعربية التي اعتاد عليها العرب، كانت تمثلاً تحدياً لهم وتوجب ردة فعل لسدها، بعدما هزَّ أمواجَ الفكر الساكنة، كذلك الاستشراق وما جاء به من افكار تحاول المساس بجوهر معتقدات

الدينية والقومية، وذلك بعدما كان العربي منغلقاً على مسلماته ويقينياته ومعتقداته التي لم يتصور ان يأتي من يشكك بها، فهذه الهجمة الاستشراقية اوقعت المفكرين العرب والمسلمين للانطلاق في عالم البحث والتأليف والتنقيب والحفر التاريخي والمعرفي ومراجعة اللُّبنات الاولى التي بنيت عليها افكارهم.

ومما مثَّل صدمة للمفكرين والمثقفين العرب وجعلهم في موقف الاستغراب والمفاجئة انهم وجدوا (ان الاوربيين يعرفون عن ثقافة العرب والمسلمين، وعن حضارتهم وتاريخهم، ما لا يعرفه العرب والمسلمون انفسُهم عن تلك الثقافة والتأريخ! والقرائن على ذلك، عند النهضويين لا حصر لها؛ حيازةُ الاوروبيين أُولاء مخطوطات عربية من الادب والفلسفة والعلوم العقلية والعلوم الشرعية، مما ليس في حوزة أبناء هذه الحضارة واحفادها؛ امتلاكُهم لسان الضّاد وألسنةً اخرى شرقية كتبت بها علومُ الاسلام ومعارفُه، كالفارسيةِ والتركيةِ مثلاً؛ ثم التأليف الغزير في أغراض كثيرة تتعلّق بذينك التاريخ والثقافة...)[٢٦].

ومن الامور التي جعلت المفكرين العرب في نوع من الانبهار من جانب هي القدرة الفائقة التي وجدوها عند هؤلاء المستشرقين في "افتحاص النصوص"، عن طريق تدقيقها وتخريجها ونسبتها الى اصحابها، او التعرف على تلك النصوص التي لم يُذكر فيها اسماء المؤلفين؛ اما لان النساخ اسقطوها من النسخ المخطوطة او لان المؤلفين انفسهم لم يذكروا اسماءهم[٢٧].

وعند الاطلاع على بعض الدراسات التي قام بها المستشرقون نرى فيها دراسات رصينة، قد اعتمدت على مناهج حديثة استخدمت في تلك الدراسات، وطريقة التحليل والاستنتاج، وكيفية استخدام مادة البحث ودراسة التاريخ المقارن، وهذا كله كان يمثل طرقاً حديثة غير مألوفة لدى المفكرين العرب والمسلمين.

ولكن كل ما تقدم من حالة الانبهار التي واجه بها العرب للمنهج والفكر الإستشراقي لم يجعلهم في حالة من الانكسار والتصاغر امام تلك الموجة بالرغم من شدتها، فقد كان هناك (مبعث شعور واعتزاز بالذات الحضارية والثقافية العربية، فها هم الدارسون الغربيون للتراث الاسلامي يثبتون لمجرد دراستهم تاريخ الاسلام وثقافته، ان التراث ما

زال حياً، بل اكثر من ذلك يكشفون عن كنوز فيه لم يكن اكثرها معلوماً لدى العرب والمسلمين ومن نصوص نفيسة ونظريات في العلم والفلسفة ما ادرك قيمتها الدارسون قبلاً)[٢٨]. فان الوقوف على هذه الدراسات جعل المسلمين العرب يقفون متواضعين امامها من جانب، ولكن من جانب اخر اشعرهم بالتفاخر والزهو والثقة بالنفس لما يمتلكون من ارث حضاري يمتاز بالاستمرارية والدوام والارتباط بالحاضر والمستقبل، وهذه الامور هي التي جعلت الاوروبيين يعكفون على دراسة ذلك التأريخ العربي والاسلامي والاطلاع على معارفه، وهذا يُعد قرينة على التطور العلمي والمعرفي للشرق على نظيره الاوروبي وهو ما اثر في المفكرين العرب بصورة مباشرة وغير مباشرة.

المطلب الثالث : سلبيات الاستشراق

عندما ندرس الاستشراق عبر تاريخه الطويل يظهر لنا جانبه الإيجابي بما هو حالة فهم ودراسة الآخر ومد الجسور منه وإليه، ولكن أيضاً سيتشخص لنا سلبيات، منها محاولة إسقاط خلفيات المستشرقين على المصدر المدروس والأهداف الأيدلوجية والسياسية وغيرهما للكثير من المستشرقين ومحاولة تدجين عقول الشرقيين وفق متبنياتهم لأهداف ليس علمية ولا نزيهة . و (عملت بعض الدول الأوربية على انشاء جامعات ومدراس فى كثير من البلاد الإسلامية تعمل تحت إشرافها العلمي وخططها الدراسية، ولا يكاد يخلو بلد إسلامي من هذا النوع من المؤسسات التعليمية التي يخضع في تمويلها ومناهجها العلمية لدول أوربا، وفى معظم الأحوال فإن ابناء هذه المدارس وخريجيها يكون ولاؤهم الثقافي والحضاري والسياسي لهذه الدول التي تلقوا تعليمهم فيها أو تحت إشرافها)[٢٩].

ولذلك نرى الكثير من المفكرين الذين درسوا تحت ايدي علماء مستشرقين رجعوا وهم يحملون افكاراً تشكيكية وطاعنة بالإسلام من نواحٍ عقيدية وتاريخية واجتماعية، (ففي المجتمعات العربية والإسلامية سبب الاستشراق ردة فكرية عن الإسلام، ونجح المستشرقون في إيجاد طبقة من المسلمين مخدوعة بأفكارهم وآرائهم، وذلك باستقطاب

الآلاف من شباب المسلمين للجامعات الغربية طمعا في الألقاب العلمية، فرجع هؤلاء الطلاب متأثرين بثقافة الغرب ومناهجه وأساليب تفكيره)[٣٠].

فعادة ما يكون الطالب متأثرا بأُستاذه والمُتلقي بمن يتلقى منه، ويمتد هذا التأثر لجميع ما ممكن تقليده من شكليات وغيرها، فضلاً عن مجال التلقي الخاص نفسه، خصوصاً أن مناهج المستشرقين جذابة وطرقهم في التفكير والتناول والنقد براقة، والطالب بطبيعته يذهب للأخذ والتعلم مع ما يجده من عوامل التأثير الأخرى خارجة عن مجالات الدرس، سيقع تحت وطأة التأثر غالباً.

في حين أن هناك من المستشرقين ممن يمثلون خلفيات ايدلوجية وأهداف عدائية اتجاه العرب والمسلمين والأمم الأخرى، ونظرة استعلائية على أساس عرقي وإثني، ولهم نزعة صراعية مع الآخر تقوم على فكرة أن المثال الغربي الرأسمالي الديمقراطي وما أنتج من حداثة وما بعدها وتصورات على أنها نهاية التاريخ وأقصى ما أنتجه العقل البشري وليس وراءه شيء.

فكل هذه العناصر كمقتضيات للتأثير مع القابل المتوفر في كل طالب مبعوث حسب ما يمتلك من وعي وثقافة وقدرات شخصية في فهم ونقد الآخر ممكن أن نتفهم حالة التأثر والتأثير.

ولا تتوقف المسألة عند هذا الحد، بل ان الصلة بين الاساتذة وطلبتهم تستمر بطرق مختلفة، منها استماع المستشرقون لطلبتهم في الندوات العلمية والمؤتمرات، وقد يكون الاساتذةُ الاستشراقيون مستشارين لهؤلاء الطلبة في بحوثهم، فيكون هؤلاء الطلبة هم صدى لأفكار ومقولات المستشرقين وما هم الا اداة لتوصيل الفكر الإستشراقي.

وعندما تنطلق الافكار الناقدة للإسلام وثوابته العقيدية من أبنائه سيكون لها تأثير اكبر مما لو انطلقت من افواه نفس المستشرقين، باعتبار ان نقد المسلمين لدينهم هو نقد للعارف به عادةً.

بالإضافة الى ذلك فكما اننا كمسلمين نعتز بإسلامنا ومعتقداتنا، بل حتى الذين نعتبرهم غير متدينين، ولكن عندما يتم المساس بعقيدتهم فنجدهم شديدي الحرص في الدفاع عنها، فكذلك الحال عند اصحاب الديانات الاخرى سواء كائنة المسيحية او

اليهودية فهم يعتبرون الاسلام الديانات التبشيرية التي تسعى الى التوسع على حساب بقية الاديان، وبالتالي يجب الحد من نفوذه ولو بتفريغه من محتواه وجعله عبادة فردية لا علاقة لها بالحياة الاجتماعية بل ولا الاسرية.

وهذا التحدي على ازاحة الاسلام من مكانته العظيمة نراها بوضوح عند المسيحية واليهودية بالخصوص، فنرى الكثير من المستشرقين هم من اليهود فـ (يُعد المستشرقون اليهود والذين يحملون جنسيات غربية متعددة ومتنوعة ومختلفة اكثر خطورة في ميدان الاستشراق، لانهم انطلقوا من اهدافٍ دينية وعقدية محضة لتشويه الاسلام والمسلمين والتشكيك في معتقداتهم الدينية والحط من حضارتهم الزاهية، وكانت النزعة الصهيونية واضحة وجلية في كتاباتهم العدوانية تجاه الاسلام بصفة خاصة)[٣١].

والغريب انه في الوقت الذي يشككون فيه باركان الاسلام وكل معتقداته – ابتداءً من التوحيد والوحي والنبوة فضلاً عن غيرها حتى وصل الحال الى مناقشة الجزئيات والفروع العبادية كما ذهب المستشرق شاخت في كتابه مدخل الى الفقه الاسلامي – نراهم لا يدافعون عن معتقداتهم ولا يذكرونها لا سلباً ولا ايجاباً؛ ليظهروا انفسهم مظهر المحايد !

وهو نوعٌ من الاستغفال لذي يمارسه بعض المستشرقين ليكونوا اكثر تأثيراً بطرحهم على الفرد المسلم، والقرآن الكريم ينبهنا الى حقيقة ثابتة لا يمكن التشكيك بها **{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}**[٣٢].

والاستشراق كما تقدم لا ينفصل عن دوافعه الدينية، بل بدايته كانت على يد رجال الدين المسيحيين؛ وذلك لقراءة الاسلام الشرقي المنشأ والرد عليه والدفاع عن معتقداتهم المسيحية في الاغلب تحت يافطة "التبشير". بل ذهب بعض الباحثين إلى ان كلمة التبشير غير دقيقة، فالأصح أن يطلق عليها "التنصير"؛ وذلك لأن المحاولات كانت تدعو الى تنصير المجتمع الشرقي، ولذا ذكر بعض الباحثين بأننا : (نرى أن استعمال كلمة التنصير هي الأكثر دلالة على المطلوب من كلمة التبشير التي استعملها بعض الكتاب للتعبير بها عن ذلك الجهد الذى يبذله المتخصصون من

النصارى في نشر تعاليم الانجيل بين المسلمين وغيرهم؛ بهدف تنصيرهم وتحويلهم من الإسلام إلي النصرانية)[٣٣].

الخاتمة

لم تتفق كلمة الباحثين على بداية الاستشراق، فهناك من ذهب الى أن بدايته في العصر الاموي، بينما يذهب البعض الآخر الى أن الاستشراق بدأ رسمياً بصدور مجمع فينا عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسي الاستاذية، منا العربية واليونانية والعبرية و السريانية في جامعات اكسفورد وباريس وبولونيا وأفينون وسلامانكا، ويمكن القول أن للاستشراق بدايات فردية بدأت مع الحدث الابرز في الشرق وهو بزوغ شمس الاسلام، وبدايات رسمية وذاك بصدور مجمع فينا الكنسي.

الهوامش:

[١] ينظر : الهاشمي، حسن علي حسن مطر، قراءة نقدية في (تاريخ القرآن) للمستشرق نولدكه، ص١٥، المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

[٢] ينظر : جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة، مصر، العدد٦١٠، الصادر بتأريخ ١٢ – ٠٣ – ١٩٤٥، (نسخة الكترونية، لا يوجد رقم للصفحة).

[٣] المصدر السابق.

[٤] النساء \ ١٧١.

[٥] جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة، مصر، العدد٦١٠، (نسخة الكترونية، لا يوجد رقم للصفحة).

[٦] حيدر حب الله، مقالة بعنوان : (المستشرقون والسنّة النبوية استعراض للشخصيات، الأعمال، والردود)، مجلة المنهاج، ص٤٠، العدد : ٥٨، السنة : السنة الخامسة عشر صيف ١٤٣١هجـ ٢٠١٠ م.

[٧] المصدر السابق، ص٤٠.

[٨] ينظر: السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، ص١٧ – ١٨، نشر وتوزيع : دار الورّاق، المكتب الاسلامي.

[٩] بطرس المحترم PETRUS VENERABILIS, PIERRE LE VENERABLE ((1092 – 1156

راهب ولاهوتي فرنسي، عمل رئيساً لدير في "دومين Domene" في ١١٢٠م، رحل الى اسبانيا نهاية ١١٤١م للعناية بأحوال المسيحيين الذين يعيشون تحت حكم المسلمين ويتكلمون العربية، وفي هذا السبيل لجأ الى مدرسة المترجمين من العربية الى اللاتينية التي انشاها "ريموووندو"، وترجم القرآن للّغة اللاتينية. (بدوي، موسوعة المستشرقين، ص١١٠).

[١٠] السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، ص١٨.

[١١] الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير، قراءة تاريخية موجزة، ص١٣–١٤، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، تأريخ النشر : ١٩٩٩.

[١٢] يذكرون ان هذه العناية البالغة باللغة العبرية كان مبعثها الاعتقاد بان هذه اللغة هي لغة الانسان في أول نشأته، اعتقاد اشترك فيه الكتاب البروتستانت والكاثوليك على السواء.

(محمد عبدالله دراز، الدين – دروس ممهده لدراسة تاريخ الاديان –، ص٢٣، دار القلم – الكويت.)

(١٣) إدوار سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، الانشاء)، ص٨٠، نقله الى العربية : كمال أبو ديب، الناشر: مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة العربية الثانية ١٩٨٤.

(١٤) المصدر السابق، ص٨٠.

(١٥) عبر عبد الرحمن الغافقي جبال البرتات سنة ١١٤هـ، مخترقاً سهول اكيتانية بسرعة حتى وصف بأنه ريح عاتية ماراً بمدينة بردال عاصمة دوقية اكيتانية، فهزم دوقها اودو، الذي شرع بطلب النجدة من شارل مارتل الذي جمع جيشاً من جهات الدانوب والألب والاقيانوس، ان المعركة وقعت بقرب تور وانتهت بقرب بواتية، بعد ان استمرت ثمانية أيام حسوم اظهر فيها المسلمون ثباتاً واستبسالاً، غير ان استشهاد عبد الرحمن الغافقي في ساحة المعركة، حال دون الانتصار. يعد كثير من المؤرخون المحدثين ان معركة بلاط الشهداء هي إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ، ولكن الواقع انها لم تفصل شيئاً، فقد كانت موجة الهجوم قد استنفذت قوتها حين بلغت على نحو ألف ميل من جبل طارق وقد وصلت إلى نهاية طبيعية. اما رأي المؤرخين في الموقعة، فأن الرواية العربية تشير إليها باقتضاب، اما المؤرخون الغربيون فيعلقون عليها أهمية كبيرة وينظرون إليها من زاويتين مختلفتين، فريق منهم رأى ان هزيمة العرب هناك قد حال دون انتشار الإسلام في أرجاء أوربا ومكنت المسيحية من هذا الدين الجديد، وفريق آخر كان يبحث عن الحقيقة التاريخية ويرى ان هزيمة العرب في هذه الموقعة قد أخرت أوربا في ميدان الحضارة سنين طويلة. وأخيراً يحق لنا القول انه لو انتصر العرب في هذه المعركة لسعدت أوربا، وتعلمت الكثير، و لأصبحت أكثر حضارة وتقدم. (السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد، معركة بلاط الشهداء بوابة الحضارة العربية الإسلامية لأوربا ١١٤هـ / ٧٣٢م، مجلة التربية والعلم، ٢٠٠٨، المجلد ١٥، العدد ٣٢، الصفحات٩ – ١٦).

(١٦) ينظر : مصطفى السباعي، مصدر سابق، ص٢٤–٢٥.

(١٧) ينظر : ادوارد سعيد، الاستشراق ص٨٠.

(١٨) ينظر : خوان غويتسولو، في الاستشراق الإسباني، ص١٦٥، ترجمة : كاظم جهاد، بيروت، ١٩٨٧م.

[١٩] ينظر :النملة، علي بن ابراهيم، دراسات إستشراقية وحضارية، ص٢٤، مركز الدراسات الاستشراقية – كلية الدعوة –، العدد الاول (١٤٤٣هـ – ١٩٩٣م). وينظر: الشرقاوي، محمد عبدالله، الاستشراق والغارة على الفكر الاسلامي، ص ٨ – ٩، دار الهداية – القاهرة، ١٩٨٩م.

[٢٠] ينظر : احمد غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، ص٢٦، المنتدى الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

[٢١] ينظر : الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الإستشراقي، ج١ ص٣٠، دار المدار الاسلامي، بيروت.

[٢٢] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٣٠، دار المعارف، بيروت ٢٠٠٣.

[٢٣] خضر ابو زيد، مجلة (دراسات استشراقية)، العدد : ١٥، السنة الخامسة – صيف ٢٠١٨-١٤٣٩.

[٢٤] المصدر السابق.

[٢٥] عبدالاله بلقزيز، نقد الثقافة الغربية – في الاستشراق والمركزية الاوربية–، ص٢٣، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، آذار \ مارس ٢٠١٨.

[٢٦] المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤.

[٢٧] ينظر : المصدر السابق، ص٢٤.

[٢٨] المصدر السابق، ص٢٤.

[٢٩] الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير – قراءة تأريخيه موجزة–، ص٢٥، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، تاريخ النشر ١٩٩٩م.

[٣٠] عمر بن إبراهيم رضوان، اراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ص٦، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الاولى، تاريخ النشر : ١٤١٣ هـ. ق.

[٣١] جميل حمداوي، الاستشراق والاستمراغ والاستعراب والاستشراف – مقاربة مفاهيمية–، مجلة دراسات استشراقية، العدد : ١٩، السنة الخامسة، صيف ٢٠١٩ / ١٤٤٠هـ.

[٣٢] ال عمران \ ٦٩.

[٣٣] الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير – قراءة تاريخية موجزة–، ص٩٦.

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم.

٢- احمد غراب، رؤية اسلامية للاستشراق، المنتدى الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٣- الجليند، محمد السيد، الاستشراق والتبشير، قراءة تاريخية موجزة، الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، تأريخ النشر : ١٩٩٩.

٤- جميل حمداوي، الاستشراق والاستمراغ والاستعراب والاستشراف – مقاربة مفاهيمية–، مجلة دراسات استشراقية، العدد : ١٩، السنة الخامسة، صيف ٢٠١٩ / ١٤٤٠هـ.

٥- جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة، مصر، العدد٦١٠، الصادر بتأريخ ١٢ – ٠٣ – ١٩٤٥.

٦- الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الإستشراقي، دار المدار الاسلامي، بيروت.

٧- حيدر حب الله، (المستشرقون والسنّة النبوية استعراض للشخصيات، الأعمال، والردود)، مجلة المنهاج، ص٤٠، العدد : ٥٨، السنة : السنة الخامسة عشر صيف ١٤٣١هجـ ٢٠١٠ م.

٨- خضر ابو زيد، مجلة (دراسات استشراقية)، العدد : ١٥، السنة الخامسة – صيف ٢٠١٨-١٤٣٩.

٩- خوان غويتسولو، في الاستشراق الإسباني، ترجمة : كاظم جهاد، بيروت، ١٩٨٧م.

١٠- السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد، معركة بلاط الشهداء بوابة الحضارة العربية الإسلامية لأوربا ١١٤هـ / ٧٣٢م، مجلة التربية والعلم، ٢٠٠٨، المجلد ١٥، العدد ٣٢.

١١- السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، نشر وتوزيع : دار الورّاق، المكتب الاسلامي.

١٢- الشرقاوي، محمد عبدالله، الاستشراق والغارة على الفكر الاسلامي، دار الهداية – القاهرة، ١٩٨٩م.

١٣- عبدالاله بلقزيز، نقد الثقافة الغربية – في الاستشراق والمركزية الاوربية–، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، آذار ١ مارس ٢٠١٨.

١٤- عمر بن إبراهيم رضوان، اراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الاولى، تاريخ النشر : ١٤١٣ هـ. ق.

١٥- محمد عبدالله دراز، الدين – دروس ممهده لدراسة تاريخ الاديان –، دار القلم – الكويت.

١٦- النملة، علي بن ابراهيم، دراسات إستشراقية وحضارية، مركز الدراسات الاستشراقية – كلية الدعوة –، العدد الاول (١٤٤٣هـ – ١٩٩٣م).

١٧- الهاشمي، حسن علي حسن مطر، قراءة نقدية في (تاريخ القرآن) للمستشرق نولدكه، المطبعة : دار الكفيل للطباعة والنشر، الطبعة الاولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.